

## الفصل الثاني

مفهوم الجهاد عند سيد قطب رحمه الله ومنهجه في تفسير آيات الجهاد

المبحث الأول: مفهوم الجهاد عند سيد قطب

المطلب الأول: تعريف الجهاد ومفهومه عند العلماء

الجهاد لغة من كلمة "جَهَدَ" التي معناها "جَدَّ"، وقال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾<sup>٨٨</sup> أو من كلمة الجُهد التي معناها المشقة، أو من كلمة الجُهد التي معناها الوسع والطاقة، وقال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾<sup>٨٩</sup> أو من كلمة "جَاهَدَ" التي معناها "قاتل". وأما الجهاد شرعاً فهو قتال من ليس لهم ذمة من الكفار.<sup>٩٠</sup>

قال الإمام القرطبي في كتابه "الجامع لأحكام القرآن": جاهد مفاعلة من جَهِد إذا استخرج الجهد، مجاهدة وجهاداً، والاجتهاد والمجاهد: بذل الوسع والجهود، والجهاد (بالفتح) الأرض الصلبة.<sup>٩١</sup> ورأى سيد سابق، أن الجهاد مشتق من الجُهد وهو الطاقة والمشقة، يقال جاهد يجاهد جهاداً ومجاهدة، إذا استفرغ وسعه، وبذل طاقته، وتحمل المشاق في مقاتلة العدو ومداخلة.<sup>٩٢</sup>

وقال محمد بن علي الشوكاني: أن أصل الجهاد هو المشقة، يقال "جاهدت جهاداً أي بلغت المشقة". وشرعاً هو بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشيطان والفساق.

<sup>٨٨</sup> القرآن. الأنعام ١٠٩:٦

<sup>٨٩</sup> القرآن. التوبة ٧٩:٩

<sup>٩٠</sup> إبراهيم، أنيس. ١٩٧٢م. المعجم الوسيط. القاهرة: معجم اللغة الربية. ط. ٣. ج. ١. ص. ١٤٧.

<sup>٩١</sup> القرطبي، محمد بن أحمد. ٢٠٠٤م. الجامع لأحكام القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية. ص. ٤٧.

<sup>٩٢</sup> سابق، سيد. ٢٠٠٣م. فقه السنة. بيروت: دار الفكر. ج. ٣. ص. ٢٧.

فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ثم على العمل بما وعلى تعليمها، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشيطان وما يزينه من الشهوات، وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب، وأما الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب.<sup>٩٣</sup>

رأى الشيخ وهبه الزحيلي، أن الجهاد هو بذل الجهد والوسع والطاقة، وأما اصطلاحاً هو بذل الجهد والطاقة في قتال الكفار ومدافعهم بالنفس والمال واللسان. فالجهاد يكون بالتعليم وتعلم أحكام الإسلام ونشرها بين الناس وببذل المال وبالمشاركة في قتال الأعداء إذا أعلن الإمام الجهاد.<sup>٩٤</sup>

رأى محمد سعيد رمضان البوطي، أن معنى الجهاد هو بذل الجهد في سبيل إعلاء كلمة الله وإقامة المجتمع الإسلامي، وبذل الجهد بالقتال نوع من أنواعه، وأما غايته فهو إقامة المجتمع الإسلامي وتكوين الدولة الإسلامية الصحيحة.<sup>٩٥</sup>

واستقر في أذهان الناس أن الجهاد الذي هو جزء أصيل من أحكام الإسلام وشرائعه إنما شرع بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة، ولم يكن للجهاد قبل ذلك حكم ولا ذكر، ولقد أدى هذا التصوير إلى إزالة سمة الجهاد عن كثير من أنواعه، محجوبة عن أفكار كثير من الناس، فما أكثر الذين إذا ذكر أمامهم الجهاد لم يفهموا منه إلا القتال في ميدان المعركة أو المقاومة بالسلاح والحرب.<sup>٩٦</sup>

<sup>٩٣</sup> الشوكاني، محمد بن علي. ٢٠٠٠م. نيل الأوطار، شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار. القاهرة: المكتبة التوفيقية. ص. ٢٥.

<sup>٩٤</sup> زحيلي، وهبة. ١٩٩٧م. الفقه الإسلامي وأدلته: الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية وتخرجها ملحقاً به. دمشق: دار الفكر. ج. ٨. ص. ٥٨٤٦.

<sup>٩٥</sup> بوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٩٤م. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدين: دراسات منهجية عملية لسيرة المصطفى ﷺ وما تنطوي عليه من عظات ومبادئ وأحكام. بيروت: دار الفكر المعاصر. ص. ١١٠.

<sup>٩٦</sup> بوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٩٣م. الجهاد في الإسلام: كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟. بيروت: دار الفكر. ص. ١٩.



قال ابن تيمية، فإذا ترك الناس الجهاد في سبيل الله فقد يتلهم بأن يوقع بينهم العداوة حتى تقع بينهم الفتنة كما هو الواقع، فإن الناس إذا اشتغلوا بالجهاد في سبيل الله، جمع الله قلوبهم وألف بينهم، وجعل بأسهم على عدو الله وعدوهم وإذا لم ينفروا في سبيل الله عذبهم الله بأن يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض.<sup>٩٧</sup> كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.<sup>٩٨</sup>

الجهاد أفضل ما تطوع به الإنسان، وتطوعه أفضل من تطوع الحج وغيره، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿أَجْعَلُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوِينَ عِنْدَ اللَّهِ وَآلِهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.<sup>٩٩</sup>

فإن نفع الجهاد عام لفعله ولغيره في الدين والدنيا، ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة، فإنه مشتمل من محبة الله تعالى والإخلاص له والتوكل عليه وتسليم النفس والمال له والصبر والزهد وذكر الله وسائر أنواع الأعمال على ما لا يشتمل عليها عمل آخر، فإن من الناس من يرغب في الأعمال الشديدة في الدنيا مع قلة منفعتها، فالجهاد أنفع فيهما من كل عمل شديد وقد يرغب في ترفيه نفسه حتى يصادفه الموت، فموت الشهيد أيسر من كل ميتة، وهي أفضل الميتات، وإذا كان أصل القتال المشروع هو

<sup>٩٧</sup> ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. ٢٠٠٢م. التفسير الكامل وهو تفسير آي القرآن الكريم. بيروت: دار الفكر. ط. ١. ج. ٣.

ص. ٢٦١-٢٦٢.

<sup>٩٨</sup> القرآن. التوبة ٩: ٤٩.

<sup>٩٩</sup> القرآن. التوبة ٩: ١٩-٢٠.

الجهاد ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا ولأن الجهاد حقيقة الاجتهاد في حصول ما يحبّه الله من الإيمان والعمل الصالح.<sup>١٠٠</sup>

أن الجهاد في سبيل الله تعالى ضرب مهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ لا بد منه للأمة التي تدعو إلى الله عز وجل وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وذلك في مرحلة من مراحلها، وذلك إما بجهاد الدفع عندما تتبلى الأمة بمن يفتنها في دينها أو دماؤها أو أعراضها فيفرض عليها المدافعة فرضاً حسب الإمكان وإلا الفناء والهلاك، أو بجهاد الطلب ونشر دين الله تعالى عندما تكون قادرة على ذلك.<sup>١٠١</sup>

قال الشيخ يوسف القرضاوي: "إن كلمة الجهاد تعني الجهد والوسع، أو تحمل الجهد والمشقة في نصر الحق والخير، ومقاومة الباطل والشر والفساد بكل وسيلة مشروعة، بدءاً بالنفس وانتهاءً بالعلم، وكلمة الجهاد أوسع بكثير من كلمة القتال، وكل مسلم يكون مجاهداً وليس من الضروري أن يكون مقاتلاً".<sup>١٠٢</sup>

كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَكُمْ الْقُرْآنُ يُنْزِلُ إِلَيْكُمُ الْكَلِمَ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي بِالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّابِرُونَ﴾.<sup>١٠٣</sup>

ومن معاني الجهاد المذكورة السابقة، استنبط الباحث أن الجهاد هو كل أعمال يُستخدم لمصلحة الناس وغيره، كطلب العلم، والمعاونة مع الغير، وإنفاق الأموال في سبيل الله، حتى عمل الإنسان لكسب

<sup>١٠٠</sup> ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. د. س. التفسير الكامل وهو تفسير آي القرآن الكريم. ص. ٣٠٦-٣٠٧.

<sup>١٠١</sup> الجليل، عبد العزيز بن ناصر. ٢٠٠٩م. التربية الجهادية في ضوء الكتاب والسنة. ص. ٢.

<sup>١٠٢</sup> القرضاوي، يوسف. ٢٠٠٣م. خطابنا الإسلامي في عصر العولمة. القاهرة: دار الشروق. ص. ١٦٣.

<sup>١٠٣</sup> القرآن. الحجرات ٤٩: ١٥.

العيش اليومي، هذا ما رأيت الجهاد بمعنى البذل والوسع والطاقة، وأما الجهاد بمعنى القتال أو الحرب فيطلق على مواجهة الأمة ودفاعها عن دينها ووطنها حين استعمرها أعدائها.

المطلب الثاني: معنى الجهاد في القرآن الكريم ومفهومه عند سيد قطب في الظلال

إن كلمة الجهاد بجميع صيغتها ذكرت في القرآن أربعين مرة، وهي في تسع عشرة سورة:

١. جَاهَدَ: في سورة التوبة الآية ١٩، وسورة العنكبوت الآية ٦.
٢. جَاهِدْكَ: في سورة العنكبوت الآية ٨، وسورة لقمان الآية ١٥.
٣. جَاهِدُوا: في سورة البقرة الآية ٢١٨، وسورة آل عمران الآية ١٤٢، وسورة الأنفال الآية ٧٢، ٧٤، ٧٥، وسورة التوبة الآية ١٦، ٢٠، ٨٨، وسورة النحل الآية ١١٠، وسورة العنكبوت الآية ٦٩، وسورة المجزات الآية ١٥.
٤. يُجَاهِدُونَ: في سورة الصف الآية ١١.
٥. يُجَاهِدُ: في سورة العنكبوت الآية ٦.
٦. أَنْ يُجَاهِدُوا: في سورة التوبة الآية ٤٤، ٨١.
٧. يُجَاهِدُونَ: في سورة المائدة الآية ٥٤.
٨. جَاهِدِ: في سورة التوبة الآية ٧٣، وسورة الترحيم الآية ٩.
٩. جَاهِدْهُمْ: في سورة الفرقان الآية ٥٢.
١٠. جَاهِدُوا: في سورة المائدة الآية ٣٥، وسورة التوبة الآية ٤١ و ٨٦، وسورة الحج الآية ٧٨.
١١. جَهْدَ، في سورة المائدة الآية ٥٣، وسورة الأنعام الآية ١٠٩، وسورة النحل الآية ٣٨، وسورة النور الآية ٥٣، وسورة فاطر الآية ٤٢.



١٢. جُهِدَهُمْ، في سورة التوبة الآية ٧٩.

١٣. جِهَادٍ، في سورة التوبة الآية ٢٤.

١٤. جِهَادًا، في سورة الفرقان الآية ٥٢، وسورة الممتحنة الآية ١.

١٥. جِهَادِهِ، في سورة الحج الآية ٧٨.

١٦. الْمُجَاهِدُونَ، في سورة النساء الآية ٩٥.

١٧. الْمُجَاهِدِينَ، في سورة النساء الآية ٩٥ — ذكرت مرتين —، وسورة مُحَمَّدُ الآية ٣١.<sup>١٠٤</sup>

وذكر أيضًا في كتاب "الجهاد في القرآن" للدكتور محمد خريز سنة ٢٠٠٤م، أن ترتيب

آيات الجهاد حسب نزوله هي: سورة الفرقان الآية ٥٢، والنحل الآية ١١٠، والعنكبوت الآية ٦

و٦٩، البقرة الآية ٢١٨، الأنفال الآية ٧٢، ٧٤، و٧٥، آل عمران الآية ١٤٢، الممتحنة الآية ١،

النساء الآية ٩٥، مُحَمَّدُ الآية ٣١، الحج الآية ٢٨، الحجرات الآية ١٥، التحريم الآية ٩، الصف

الآية ١١، المائدة الآية ٣٥ و٥٤، والتوبة الآيات ١١، ١٩، ٢٠، ٢٤، ٤١، ٤٤، ٧٣، ٨١، ٨٦،

و٨٨.<sup>١٠٥</sup>

فلا عجب مع ذلك أن يأمر الله نبيه أن لا يطعم الكافرين وألا يتزينج عن دعوته وأن يجاهدهم

بهذا القرآن، فإنما يجاهدهم بقوة لها كيان البشر ولا يثبت لها مدال أو محال. كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا

تُطِيعِ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ، جِهَادًا كَبِيرًا﴾.<sup>١٠٦</sup>

<sup>١٠٤</sup> عبد الباقي، محمد فؤاد. د. س. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. د. م.: دار الشعب. ص. ١٨٢-١٨٣.

<sup>١٠٥</sup> Chirzin, Muhammad. 2004. *Jihad Dalam Al-Qur'an, Telaah Normatif, Historis dan Prospektif*.

Yogyakarta: Pustaka Pelajar. pb. III. p. 19.

<sup>١٠٦</sup> القرآن. الفرقان ٥٢:٢٥

الجهاد كلمة جامعة تشمل جميع أنواع السعي وبذل الجهد، لكن الجهاد الإسلامي ليس بجهاد لا غاية له وإنما هو الجهاد في سبيل الله، والجهاد المتواصل لإعلاء كلمة الله وأن ينال جاهاً وشرفاً أو سمعة وحسن.<sup>١٠٧</sup>

أن الجهاد في الإسلام جهاد في سبيل الله جهاد لتقرير ألوهية الله في الأرض بمحاربة الطواغيت المغتصبين لسلطان الله، جهاد لتحرير الإنسان من العبودية لغير الله ومن فتنته بالقوة لأجل الدينونة لله وحده، والانطلاق من العبودية للعباد إلى العبودية لله عز وجل. ومن ثم ينبغي له أن ينطلق في الأرض كلها، لتحرير الإنسان كله، بلا تفرقة بين ما هو داخل في حدود الإسلام وبين ما هو خارج عنها.<sup>١٠٨</sup>

إن من سنة الله أن تقع المعركة بين الحق والباطل في جميع نواحي الحياة، وهذه المعركة إنما تقع بين عهد الله وغواية الشيطان، بين أولياء الرحمن وأولياء الطاغوت، بين الإيمان والكفر، بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال، بين الإسلام والجاهلية، والإنسان هو نفسه ميدان المعركة، وهو نفسه الفلاح أو الخسران فيها، وفي هذا الجهاد وتوجيه دائم له بأنه جند في ميدان المعركة، وأنه هو نفسه صاحب الغنيمة أو السلب في هذا الميدان، ومن ثم كان الجهاد ماضياً إلى يوم القيامة.<sup>١٠٩</sup>

وبين سيد قطب في سورة الأنفال، أن خط العقيدة هو خط الجهاد، وبيان قيمة الحياة الإيمانية والحركية، وتجريده كذلك من كل شائبة شخصية، وإعطاء مبرراته التي يطلق بها المجاهدون في ثقة وطمأنينة واستعلاء إلى آخر الزمان.<sup>١١٠</sup> والمعاني اللغوية لكلمة الجهاد وأغراضها المذكورة يمكن تلخيصها ببعض

<sup>١٠٧</sup> قطب، سيد. ١٩٨٢م. في ظلال القرآن. القاهرة: دار الشروق. ج. ٣. ط. ١. ص. ١٣٣٧.

<sup>١٠٨</sup> المرجع نفسه. ص. ١٧٣٧.

<sup>١٠٩</sup> المرجع نفسه. ص. ٩٢٦.

<sup>١١٠</sup> المرجع نفسه. ص. ٩٧٨.

الآيات القرآنية التي دلت على مفهوم الجهاد بالمعنى "الامتحان والبلاء". قال الله تعالى: ﴿أَمْرٌ حَسْبُكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>١١١</sup>.

الجهاد هو طريق المؤمن لأن فيه المجاهدة والمجادلة والصبر والثبات حتى يأذن الله، ورجاء المؤمن في رحمة الله لا يخيبه الله أبداً، ولقد سمع أولئك النفر المخلص من المؤمنين المهاجرين هذا الوعد الحق، فجاهدوا وصابروا حتى حقق الله لهم وعده بالنصر أو الشهادة، وكلاهما خير ورحمة، وفازوا بمغفرة الله ورحمته، والله لا يترك عباده الذين يؤمنون به، ويصبرون على الأذى في سبيله، فهو معوضهم خيراً، بإحدى الخسيتين النصر أو الشهادة.<sup>١١٢</sup>

فلا يكفي أن يجاهد المؤمن، إنما هو الصبر على تكاليف هذه الدعوة أيضاً، التكاليف المستمرة المتنوعة التي لا تقع عند الجهاد في الميدان، وربما كان الجهاد في الميدان أخف تكاليف هذه الدعوة التي يطلب لها الصبر، ويختبر بها الإيمان، إنما هناك المعاناة اليومية التي لا تنتهي، معاناة الاستقامة على أفق الإيمان، والاستقرار على مقتضياته في الشعور والسلوك، والصبر في أثناء ذلك على الضعف الإنساني، في النفس وفي الغير، ممن يتعامل معهم المؤمن في حياته اليومية.

رأى سيد قطب أن طريق الجنة محفوف بالمكاره، ولا يكفي أن يجاهد المؤمنون، وإنما هو الجهاد وملاقات البلاء ثم الصبر على تكاليف الجهاد ومعاناته، وربما كان الجهاد في الميدان أو القتال أخف تكاليف هو الدعوة الذي يحتاج إلى الصبر ويمتحن به الإيمان، وهناك معانات وملايا كثيرة متنوعة في واقع حياة المؤمنين اليومية التي يحتاج إلى زيادة الصبر وتمكّنه حقيقة التمكين، الصبر على أشياء كثيرة

<sup>١١١</sup> القرآن. آل عمران ١٤٢:٣

<sup>١١٢</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ٢٢٨.



والصبر في كل شيء، وليس الجهاد في الميدان إلا واحد منها في الطريق المخوف بالمكارة، طريق الجنة التي لا تنال بالأمان وبكلمة اللسان.<sup>١١٣</sup>

وهناك رحمة الله التي يرجوه الإنسان من يؤذون في سبيله، لا يئس منها مؤمن عامر القلب بالإيمان، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَؤْتِيكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.<sup>١١٤</sup>

يرى الباحث أن من أعظم ما يدخل به المؤمن الجنة الجهاد في سبيل الله، وتمكن الصبر في النفس تمام التمكين على أداء التكليف وعلى الطاعة وعلى البلايا والحوادث، وتظهر أيضًا العلاقة القوية بين الجهاد والصبر ولا يفصل أحدهما عن الآخر، وأن الله يرى كل ما فعله الإنسان، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.<sup>١١٥</sup>

وأدخل سيد قطب مفهوم الدعوة بالجهاد في سبيل الله أيضًا لتقرير ألوهية الله سبحانه في الأرض وفي حياة الناس وتحطيم ألوهية العبيد المذمومة ومطابقة هؤلاء المعتقدين على ألوهية الله سبحانه وحاكميته وسلطانه، حتى يفنيوا إلى حاكمية الله وحده، ويكون الدين كله لله، حتى إذا أصابهم الموت في هذا الجهاد كان لهم في الشهادة حياة.<sup>١١٦</sup> كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.<sup>١١٧</sup>

<sup>١١٣</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ٤٨٤.

<sup>١١٤</sup> القرآن. البقرة: ٢١٨.

<sup>١١٥</sup> القرآن. الزلزلة: ٧-٨.

<sup>١١٦</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ١٤٩٤.

<sup>١١٧</sup> القرآن. الأنفال: ٢٤.

ويتضمن لفظ الجهاد بمعنى "الطاقة"، يقصد به المجاهد ببذل ما عنده على قدر طاقته

واستطاعته امتثالاً لأوامر الله تعالى في سبيله. قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ

الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ

اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.<sup>١١٨</sup>

ويرى سيد قطب أيضاً أن المؤمن لابد له أن يعمل الصالحات والخيرات فريضة كانت أم

نافلة عن طوعية نفس ورضى قلب واطمئنان ضمير ورغبة في المساهمة في الجهاد بما عنده من

الوسائل المناسبة الممكنة على قدر طاقته واستطاعته وعلى غاية جهده امتثالاً واستجابةً لأوامر الله

ورسوله.<sup>١١٩</sup>

رأى سيد قطب أيضاً أن قضية الجهاد والعقيدة هي قضية شاقة وكبيرة على المؤمنين، ولابد أن

يكون فوق قضايا وفوق مصالح وفوق كل شيء، وليس هناك أي اعتبار لعلاقة أو مصلحة يرتفع على

مقتضيات العقيدة في الله ومقتضيات الجهاد في سبيل الله، والله لا يكلف نفساً أي تكليف إلا وهو عليم

أن فطرتهما تطيقه، وأنه لمن رحمة الله بعباده أن أودع فطرتهم هذه الطاقة العالية من التجرد والاحتمال،

وأودع فيها الشعور بلذة علوية لذلك التجرد لا تعلوها لذات الأرض كلها، بلذة الشعور بالاتصال بالله،

ولذة الرجاء في رضوان الله، ولذة الاستعلاء على الضعف والهبوط، والخلاص من ثقله اللحم والدم،

<sup>١١٨</sup> القرآن. التوبة ٧٩:٩

<sup>١١٩</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ٤٨٣.

والارتفاع إلى الأفق المشرق الوضيء، فإذا غلبتها ثقله الأرض ففي التطلع إلى الأفق ما يجدد الرغبة الطامعة في الخلاص والفكاك.<sup>١٢٠</sup>

ويبين سيد قطب أن المؤمن هو المجاهد وأن جهاده لإصلاح نفسه وتكميله وتحقيق الخير له في الدارين، فلا يجوز له أن يقف وسط الطريق ولا يليق فيه اليأس ولا الاستسلام بل لابد له أن يجاهد حقيقة الجهاد في سبيل الله ليصل إليه ويتصل به، وأن الله لن يتركه وحده ولن يضع إيمانه ولن ينسى جهاده شيئاً ولا يحتاج إلى جهد بشري ضعيف، وذلك إنما من رحمة الله وفضله أن يعينه في جهاده وأن يستخلفه في الأرض وأن يأجره في الآخرة بثوابه.<sup>١٢١</sup>

كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>١٢٢</sup>، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فَمَا لَنَدِينَهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>١٢٣</sup>.

إن المنافقين يشفقون من التابع وينفرون من المجاهد ويؤثرون الراحة واللذة الرخيصة والسلامة الذليلة على الكدح الكريم وعلى الخطر العزير، وأما المؤمنون فيأثم يسارعون ويتسارعون في تلبية دعوة النفرة في سبيل الله بالأموال والأنفس والأرواح طاعةً لأمر الله وابتغاءً رضوان الله وإعلاء كلماته، ولو كان

<sup>١٢٠</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ١٦١٦.

<sup>١٢١</sup> المرجع نفسه. ص. ٢٧٢٢.

<sup>١٢٢</sup> القرآن. العنكبوت ٦: ٢٩.

<sup>١٢٣</sup> القرآن. العنكبوت ٦٩: ٢٩.



المتخلفون يفقهون لأدركوا ما في الجهاد من حياة وقوة وكرامة وبقاء كريم،<sup>١٢٤</sup> قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنْكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَلَفِينَ﴾.<sup>١٢٥</sup>

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾،<sup>١٢٦</sup> من خلال هذا العرض الإجمالي مدى التركيز على الجهاد وعلى المفاضلة الكاملة على أساس العقيدة، وعلى الانطلاق بهذا الدين في الأرض وفقاً للبيعة على النفس والمال بالجنة للقتل والقتال، لتقرير حدود الله والمحافظة عليها، أي لتقرير حاكمية الله للعباد إن الجهاد في سبيل الله بيعة معقودة بعنق كل مؤمن، كل المؤمن على الإطلاق منذ كانت الرسل ومنذ كان دين الله، إنما السنة الحارّة التي لا تستقيم هذه الحياة بدونها ولا تصلح الحياة بتركها.<sup>١٢٧</sup> قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.<sup>١٢٨</sup>

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَطَرَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.<sup>١٢٩</sup>

<sup>١٢٤</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ١٦٨٢.

<sup>١٢٥</sup> القرآن. التوبة ٩: ٨٣.

<sup>١٢٦</sup> القرآن. التوبة ٩: ١١١.

<sup>١٢٧</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ١٧١٥-١٧١٧.

<sup>١٢٨</sup> القرآن. البقرة ٢: ٢٥١.

<sup>١٢٩</sup> القرآن. النساء ٤: ٩٥.

إِنَّ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى قَاعِدَةٍ عَامَةٍ مُطْلَقَةٍ فِي عَدَمِ الْإِسْتِوَاءِ بَيْنَ الْقَاعِدِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ غَيْرِ أَوْلَى الضَّرَرِ الَّذِينَ يَقْعُدُهُمُ الْعَجْزُ عَنِ الْجِهَادِ بِالنَّفْسِ أَوْ يَعْقُدُهُمُ الْفَقْرُ وَالْعَجْزُ عَنِ الْجِهَادِ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَهَؤُلَاءِ الْقَعْدَةُ الْمَعْذُورُونَ عَنِ الْجِهَادِ فَلَا لَوْمَ وَلَا عِتَابَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ عَلَى الْقَاعِدِينَ الْمَعْذُورِينَ أَجْرًا عَظِيمًا وَدَرَجَةً كَثِيرَةً وَمَغْفِرَةً وَرِضْوَانًا وَرَحْمَةً وَالْجَنَّةَ وَالنَّصْرَ وَالشَّهَادَةَ.<sup>١٣٠</sup>

قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.<sup>١٣١</sup> أَنَّ الْآيَةَ إِشَارَةٌ إِلَى الْإِنصَارِ مِنْ ظُلْمِ الْمُشْرِكِينَ وَاعْتِدَائِهِمُ السَّابِقَ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِذْيَاءِ وَالْإِسَاءَةِ وَالْعَذِيبِ وَالْفِتْنَةِ وَالْإِحْرَاجِ مِنْ مَكَّةَ بِسَبَبِ عَقِيدَتِهِمُ الْخَالِصَةَ لِلَّهِ وَخُذَهُ، وَشَرَحَ أَيْضًا أَنَّ الشَّعَائِرَ وَالْعِبَادَاتِ لَا يَلْبِسُهَا مِنْ حِمَايَةِ تَدْفِعُ عَنْهَا الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَتَمْنَعُهُمْ مِنَ الْإِعْتِدَاءِ عَلَى حُرِيَةِ الْعَقِيدَةِ وَحُرِيَةِ الْعِبَادَةِ وَعَلَى فَتَاةِ الْمَعَابِدِ وَحُرْمَةِ الشَّعَائِرِ وَتُمْكِنِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَابِدِينَ الْعَامِلِينَ مِنْ تَحْقِيقِ مَنَهِجِ اللَّهِ الْعَالِمِ عَلَى الْعَقِيدَةِ، الْمُتَّصِلِ بِاللَّهِ، الْكَفِيلِ بِتَحْقِيقِ الْخَيْرِ لِلْبَشَرِيَّةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ ثُمَّ أَهْلُ اللَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ الْهَجْرَةِ فِي قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ لِيُدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَعَنْ عَقِيدَتِهِمْ اعْتِدَاءَ الْمُعْتَدِينَ، وَلِيَتَحَقَّقُوا لِنَفْسِهِمْ وَلِغَيْرِهِمْ حُرِيَةَ الْعِبَادَةِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَوَعْدَهُمُ النَّصْرَ وَالتَّمَكُّنَ عَلَى شَرْطِ أَنْ يَنْهَضُوا بِتَكْلِيفِ الْعَقِيدَةِ، وَهِيَ إِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَإِتْيَاءُ الزَّكَاةِ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ.<sup>١٣٢</sup>

<sup>١٣٠</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ٧٤٠-٧٤١.

<sup>١٣١</sup> القرآن. البقرة: ١٥٤.

<sup>١٣٢</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ٢٤٢٤.

قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ هُمَ لَكُمْ سَوَاءٌ مَنَ بَعَثَ اللَّهُ رُسُلًا وَلَا يَنصُرُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ ۝١٣٣﴾

وقال سيد قطب: إن الجهاد في سبيل الله هي صفة العصبية المؤمنة التي يختارها الله ليصنع بها في الأرض ما يشاء، وهم يجاهدون في سبيل الله لا في سبيل أنفسهم لا في سبيل قومهم لا في سبيل وطنهم، لتحقيق منهج الله وتقرير سلطانه وتنفيذ شريعته وتحقيق الخير للبشر عامة عن هذا الطريق، وليس لهم في هذا الأمر شيء، وليس لأنفسهم من هذا حظ، إنما هو لله وفي سبيل الله بلا شريك.<sup>١٣٤</sup>

وأما الجهاد بالسيف، ويؤكد أن ذلك لم يكن حركة دفاعية بالمعنى الضيق الذي يفهم اليوم من اصطلاح -الحرب الدفاعية- كما يريد المبرمجون أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام هجوم المستشرقين الماكر أن يصوروا حركة الجهاد في الإسلام، إنما كان حركة اندلاع والطلاق لتحرير الإنسان في الأرض، بوسائل مكافئة لكل جوانب الواقع البشري وفي مراحل محددة لكل مرحلة منها وسائلها المحددة.<sup>١٣٥</sup>

ومن ثمَّ ينفي الإسلام من حسابه -منذ الوهلة الأولى- كل حرب تقوم على اتحاد الأشخاص والدول، وكل حرب تقوم للاستغلال وفتح الأسواق، وكل حرب تقوم للقهر والإذلال، وكل حرب تقوم

<sup>١٣٣</sup> القرآن. الحج ٢٢: ٣٩-٤١

<sup>١٣٤</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ٩١٩.

<sup>١٣٥</sup> المرجع نفسه. ص. ١٤٣٥.



لتسويد وطن على وطن أو قوم على قوم أو جنس على جنس أو طبقة على طبقة، والله لا يريد تسويد جنس ولا وطن ولا قوم ولا طبقة ولا شعب ولا فرد، إنما يريد أن تسود ألوهيته وسلطانه وحاكميته. لأن سعادة الألوهية هي وحدها التي تكلف الخير والبركة والحرية والكرامة للعالمين، وهكذا يجرد الإسلام الجهاد في سبيله لتحقيق كلمته وابتغاء رضوانه.<sup>١٣٦</sup>

رأى الباحث، أن سيد قطب رحمه الله تعالى عرّف الجهاد بجميع الأمور التي واجهها المؤمن في جميع نواحي حياته لإقرار منهج الله في الأرض، لأن الجهاد من شخصيته وطبيعته، وأنه أيضاً من مقتضيات العقيدة وتكاليف الدعوة، وهو يكون دليلاً على صدق إيمانه وحسن إسلامه. والجهاد بجميع وسائله هو المنهج الذي أطلق الله لامتحان الناس ولابتلائهم للحصول على مغفرة الله ورضاه وفضائل منه ورحمته والبصر بالشهادة والجنة. ولا يقف في أثناء الطريق - الطريق المحفوف بالمكاره - إلى تلك الغاية المرجوة والمجاهد دائماً من غير ملل ولا استسلام. للجهاد علاقة وثيقة ومتينة بالصبر ولا ينفصل أحدهما عن الآخر أبداً لسبب آدائه وصعوبته. وأن الجهاد بجميع فضائله راجع إلى المجاهد نفسه، وأن الله لا ينال من جهاده شيئاً ولا يحتاج إلى ذلك، قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.<sup>١٣٧</sup>

<sup>١٣٦</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن، ص. ١٥٤٥.

<sup>١٣٧</sup> القرآن. العنكبوت ٦:٢٩

## المبحث الثاني: تفسير آيات الجهاد في ظلال القرآن

### المطلب الأول: منهجه في تفسير آيات الجهاد

إذا تتبعنا تطور تفسير القرآن منذ البداية حتى الآن، وجدنا أن طريقة تفسير القرآن من خلال أربعة مناهج، وهي المنهج الإجمالي، و المنهج التحليلي، والمنهج المقارنة والمنهج الموضوعي. ومع شكل التفسير بالتطور والرأي بأنواعه الفقه والفلسفة العلمية والاجتماعية والتصوف وغيرها.<sup>١٣٨</sup>

كما ذكرنا في السابق، أن الشيخ سيد قطب يعتبر مجددًا في عالم التفسير لما أضاف من معان وأفكار حركية وتربوية على التفاسير السابقة، وكما أنه في الظلال يعتبر مؤسسًا لمدرسة جديدة في التفسير، هي مدرسة التفسير الحركي.

وطالت حياته مع القرآن في السجون وتذكر في الأحداث المتوالية ونحن المتابعة التي مرت به وبالإخوان المسلمين وتعليله سر هذه الأحداث ونظرة في منهج الحركة الإسلامية في الدعوة والتربية والإصلاح والجهاد والتغيير، وقد هداه الله تعالى إلى إدراك المفتاح الحركي الذي فتح به كنوز القرآن الحركية، ووقف به على المنهج الحركي في الدعوة والحركة، وعلى الطبيعة الحركية للقرآن الكريم.<sup>١٣٩</sup>

وقال أيضًا، مال سيد قطب في تفسير الآيات القرآنية إلى استخدام منهج التحليل وهو عبارة عن تفسير السورة من القرآن موجزًا ثم فسرنا بعد ذلك بالتفصيل مع الأخذ بالأحاديث النبوية أو أقوال الصحابة عند تفسيره للآيات القرآنية، كما أخذ بأقوال المفسرين في الفترة السابقة مثل أخذه بتفسير ابن

<sup>١٣٨</sup> Baidan, Nasiruddin. 2012. *Metodologi Penafsiran Al-Qur'an*. Yogyakarta: Pustaka Pelajar. p. 3-9.

<sup>١٣٩</sup> خالدي، صلاح عبد الفتاح. ٢٠٠٠م. في ظلال القرآن: في الميزان. جدة: دار العمار. ص. ٥٤٧-٥٤٨.

كثير، ولكنه لا ينكر أن يُدخل بعض اجتهاده أو أفكاره وآراءه فيكون تفسيره مزيجًا بين التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور التي تكمل بعضها البعض.<sup>١٤٠</sup>

من هذه المعلومات رأى الباحث أن منهج سيد قطب في تفسير آيات الجهاد هو المنهج التحليلي بالرأي الحركي الجديد بنظره إلى الأحوال الاجتماعية حينئذٍ بدايةً من قبل السجن حتى اعتقاله على يد الحكومة.

وفسر سيد قطب معنى الواردة في آيات القرآن الكريم بالدقة والشمول، آيةً آيةً وسورةً سورةً بالتتابع والتسلسل وشرح أسباب النزول لكل آية فسرهما وأيضًا شرح العلاقة بين آية وأخرى، وكذلك بين سورة وأخرى.

والملاحظ إذن، أن تفسيره يعكس صورة نفسه ذاتًا وصفةً نحو الأحوال الاجتماعية حينئذٍ، ولهذا السبب وغيره جاء تفسيره على نحو متميز عن المناهج التفسيرية التي سادت قبله بمختلف المراحل من الأزمنة.

#### المطلب الثاني: مصادره في تفسير آيات الجهاد

كتب الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه "في ظلال القرآن في الميزان" سنة ٢٠٠٠م، أنه قال: "واعتبر الأستاذ أبو الحسن النشوي سيد قطب موافقًا للمودودي في أفكاره وبخاصة في المصطلحات القرآنية. فقد كان سيد قطب يشيد في مواطن متفرقة من الظلال بكتاب المودودي المصطلحات الأربعة في القرآن، من ذلك إحالته عليه وهو يوضح مفهوم العبادة كمصطلح

<sup>١٤٠</sup> د. ك. ١٤ مايو ٢٠١٣. "سيد قطب وتفسيره في ظلال القرآن". صالح موسى بلوغسبوت.



إسلامي، فقال: يراجع البحث القيم الذي كتبه المسلم العظيم الأستاذ السيد أبو الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية بباكستان بعنوان المصطلحات الأربعة في القرآن الإله، الرب، الدين، العبادة.<sup>١٤١</sup>

ودليل على هذا، كتب سيد قطب في الهامش الآية ٢٥٦ من سورة البقرة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾،<sup>١٤٢</sup> "الزجاء الإيضاح في شأن الجهاد يراجع كتاب الجهاد للمسلم العظيم السيد أبو الأعلى المودودي وكتاب السلام العالمي في الإسلام للمؤلف دار الشروق".<sup>١٤٣</sup>

قال جون كالڤرت "Jhon Calvert" في كتابه "سيد قطب وأصول الإسلام الراديكالي" سنة ٢٠١٠م: "من تنفق مع شيخ إبراهيم أبو ري، أن تأثير فكرة المودودي على سيد قطب في هذا المجال وغيرها من المسائل لا الثانوية فقط، وأكثر من ذلك هي حالة الدول مصري عندما كتب وفهمه العميق للقرآن الكريم. هذا تأثير أساسي على الحياة الفكرية وتطورها".

في ضوء سيد قطب أن الأبعاد الروحية من الاشتباكات العسكرية الإسلامية يكون لها نسب مختلفة بدءاً من الحرب المقدسة في العصور الوسطى على سبيل المثال: المرابطون في القرن الحادي عشر الميلادي-، فهم من "مدرسة صنهاجة الجندي عبد الله بن ياسين الذي قد احتل الجزء الغربي من الصحراء والمغرب".<sup>١٤٤</sup>

<sup>١٤١</sup> خالدي، صلاح عبد الفتاح. في ظلال القرآن: في الميزان. ص. ١٥٢.

<sup>١٤٢</sup> القرآن. البقرة ٢: ٢٥٦.

<sup>١٤٣</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ٢٩٠.

<sup>١٤٤</sup> Calvert, John. 2010. *Sayyid Qutb and the Origins of Radical Islamism*. London: Hurst Company. p.

وضع قطب نفسه في التقاليد الدينية التي أنجبت مثل الصوفية الجهادية المنحى "ابن ياسين"، وهي نظرية في ظلّ نفس الظروف أو في نفس الحال من نفوذ الاستعمار، بأن الجهاد في سبيل الله ليس فقط فكرة التحمل ولكن أيضًا لصعود الذات الحقيقية.<sup>١٤٥</sup>

المطلب الثالث: أثر تفسير آيات الجهاد عنده على المفكرين المعاصرين

ومن أثر تفسير آيات الجهاد على المفكرين المعاصرين أن أحد الكتاب عبد العزيز بن ناصر قد أخذ بفكرة سيد قطب في تفسيره "في ظلال القرآن"، وذلك عند بيانه عن حكم ترك الجهاد، وهو سبب لذل وهوان المسلمين، وبما أخذه عبد العزيز بن ناصر هو قول سيد قطب في تفسيره، "والذين يخشون العذاب والألم، الاستشهاد وحسارة الأئمة الأولاد الأموال إذا هم جاهدوا في سبيل الله، عليهم أن يتأملوا ماذا تكلفهم الدينونة لغير الله في الأئمة والأموال والأولاد وفوقها الأخلاق والأعراض، إن تكاليف الجهاد في سبيل الله في الدنيا طويّلت الأرض كلها لن تكلفهم ما تكلفهم الدينونة لغير الله، وفوق ذلك كله الذل والدنس والموت!".<sup>١٤٦</sup>

وقال أيضًا: "إن الباحثين المعاصرين المهتمين تحت ضغط الواقع الحاضر، وتحت الهجوم الاستشراقي المارك، يتخرجون من تقرير تلك الحقيقة، وأن المستشرقين صوّروا الإسلام حركة قهر بالسيف للإكراه على العقيدة، والمستشرقين الخبثاء يعرفون جيدًا أن هذه ليست هي الحقيقة، ولكنهم يشوّهون بواعث الجهاد الإسلامي بهذه الطريقة، ومن ثم يقوم المناهضون (المهزومون) عن سمعة الإسلام، بنفي هذا الاتهام! فيلجؤون إلى تلمس المبررات الدفاعية! ويففلون عن طبيعة الإسلام ووظيفته، وحقه في تحرير الإنسان ابتداءً، فالإسلام منهج الله للحياة البشرية، وهو منهج يقوم على أفراد الله وحده باللوهية، -

<sup>١٤٥</sup> Calvert, John. *Sayyid Qutb and the Origins of Radical Islamism*, p. 227.

<sup>١٤٦</sup> جليل، عبد العزيز بن ناصر. *التربية الجهادية في ضوء الكتاب والسنة*. ص. ٤٧. انظر: قطب، سيد. *في ظلال القرآن*. ص. ١٩٤١.



متمثلة في الحركة- وينظم الحياة الواقعية بكل تفصيلاتها اليومية، فالجهاد له بمعنى تقرير المنهج وإقامة النظام، أما العقيدة فأمرها موكول إلى حرية الاقتناع، في ظل النظام العام، بعد رفع جميع المؤثرات، ومن ثم يختلف الأمر من أساسه، وتصبح له صورة جديدة كاملة.<sup>١٤٧</sup>

وقال لورنس رايت "Lawrence Wright" عن أثر فكر سيد قطب في قضايا الجهاد المعاصر، أنها قالت: "خطر واحد من الفكر ويقترح أن المأساة الأمريكية ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، ولدت في أحد السجناء المصرية، ويقول المدافعون عن حقوق الإنسان في القاهرة أن التعذيب يخلق شهوة الانتقام، بلها من سيد قطب في ذلك حتى الماضي من قبل أصدقائه، بينهم أيمن الظواهري وأتباعها، أصبحت السجون في مصر مصنعاً لإنتاج المتشددین الذين الحاجة إلى العدالة في حياته".<sup>١٤٨</sup>

نظر بعض المفكرين الغربيين إلى فكرة سيد قطب سلبياً، وظنوا أن سيد قطب ينشر فكرة التطرف والأصولية والإرهاب ودعاية العنف، ويتساوى ذلك مع فكرة الجماعة الإسلامية والتكفير. ولكن إذا رجعنا إلى ما كتبه سيد قطب ليس من السهل أن نجد فيه فكرة ما يكفر المسلم من إسلامه، وإلا كان تصنيفه يميل إلى فرقة الطائفة والجاهلية<sup>١٤٩</sup>. ومعنى ذلك أن فكرة سيد قطب في الجهاد أو غيره في كتابه "في ظلال القرآن"، لم يكن لها تأثير كبير، بسبب أن ما في كتابه لم ترد فكرة تكفير التي تستحل دم الأبرياء.

<sup>١٤٧</sup> جليل، عبد العزيز بن ناصر. التربية الجهادية في ضوء الكتاب والسنة. ص. ١٧-١٨.

<sup>١٤٨</sup> Musallam, Adnan A. 2005. *Sayyid Qutb and the Foundations of Radical Islamism*, London: Westport Connecticut, p. 137.

<sup>١٤٩</sup> د. ك. ١٤ مايو ٢٠١٣. "سيد قطب وتفسيره في ظلال القرآن". صالح موسينج بلوغسبوت.

<http://sholehsmusing.blogspot.com/2010/05/sayyid-qutub-dan-tafsir-fi-dzilal-al.html>



وبالرغم من هذا الاختلاف، يعرض الباحث بعض المفكرين المعاصرين الذين قد تأثروا بفكرة

سيد قطب، مما يدل على وجود تأثير سيد قطب لمن بعده من المفكرين المسلمين، فمنهم:

(١) عبد الله عزام "Abdullah 'Azzam"

كان دكتور عبد الله عزام من أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، وهو متخرج من جامعة دمشق وجامعة الأزهر القاهرة سنة ١٩٧٣م، وكان عبد الله عزام معجباً بفكر سيد قطب حتى تؤثر فكرة سيد قطب على توجيهه وفكرته الجهادية، وهو رائد الأول الحركة الجهادية العالمية المتطورة المنظمة تنظيماً جيداً بدءاً من باكستان وأفغانستان وفلسطين حتى إلى آخر حياته المغتالة عام ١٩٨٩م.

ويعتبر من سيوخ وأكابر الحركة الجهادية العالمية وجامع المالكة للحركة الإرهابية، وقد اشتهر ما قاله عبد الله عزام لمن يستشهد من قبل المسلمين هو: "اتخذت حبّ الجهاد على حياتي وروحي وحواسي وقلبي وشعوري، إذا كان إعداد الجهاد هو الإرهابي فإننا إرهابيون، إذا كان الدفاع عن شرفنا هو التطرف فمن متطرفون، إذا كان الجهاد ضد أعدائنا هو الأصولي"، أصبحت هذه العبارة بياناً للحركة الجهادية أين ما كان، وأصبح عبد الله عزام نموذجاً يحتذى به في كل حركة جهادية عالمية بما في ذلك من حركة حماس في فلسطين.

(٢) أيمن الظواهري "Ayman Al-Zawahiri"<sup>١٥١</sup>

بدأ أيمن الظواهري حياته المهنية في سن الخامسة عشر من عمره أثناء دراسته في المدرسة الثانوية في القاهرة عام ١٩٦٦م، وتزامنت تلك السنة كشف عن رواد ضباط سيد قطب، وحصل على إعدام عدد من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، أدلى الحادث أثرًا عميقًا على أيمن الظواهري، ويعتقد أن شباب المسلم يجب إنشاء منظمة أو جماعة للدفاع عن الإسلام، ففي العام ١٩٦٦-١٩٦٧م انضم أيمن وأصدقائه من طلاب الجهادي سيد قطب في المدرسة الثانوية حركة سرية بقبائله، وصار الهدف الأساسي هذه الحركة إقامة حكومة إسلامية في مصر بانقلاب عسكري، باغتيال أنوار السادات.<sup>١٥٢</sup>

(٣) عمر عبد الرحمن المصري "Omar 'Abd Al-Rahman"

كان إسم سيد قطب غير معروف نسبياً في الغرب قبل هجمات ١١ سبتمبر، على الرغم من أن له تأثيراً على الشيخ المصري عمر عبد الرحمن، حيث أعتقل في عام ١٩٩٣م وسُجن لدوره في هجماته في مركز التجارة العالمية.

وقد كتب جون ج زيمرمان "John C. Zimmerman" في رسالته "سيد قطب وأثره على هجمات ١١ سبتمبر" قال: "أن هجمات ١١ سبتمبر لم تكن لي وشي ما إذا كان أحد

<sup>١٥١</sup> ولد أيمن محمد ربيع الظواهري في ١٩ يونيو ١٩٥١م، في المعادي، مصر، وبحلول عام ١٩٧٩م، وكان الظواهري انضم إلى حركة الجهاد الإسلامي وكان قد ذهب إلى أفغانستان لمقاومة الاحتلال السوفيتي، والتقى بأسامة بن لادن، زعيم تنظيم القاعدة عام ١٩٩٦م، اعتبر الظواهري تهديد إرهابي للولايات المتحدة واعتقل لمدة ستة أشهر في روسيا بعد محاولة لتجنيد الجهاديين في الشيشان، في عام ١٩٩٨م اندمجت الظواهري رسمياً الجهاد الإسلامي المصرية إلى تنظيم القاعدة، بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ظهرت المحرمات الإرهابية في أميركا، فأصبح أيمن الظواهري على قائمة الإرهابيين المطلوبين لمكتب التحقيقات الفدرالي. د. م. ١١ يونيو ٢٠١٤. "سيرة أيمن الظواهري".

<http://www.biography.com/people/ayman-al-zawahiri-241182>

Musallam, Adnan. *From Secularism to Jihad, Sayyid Qutb and The Foundations of Radical* <sup>١٥٢</sup>

Islamism, p. 188.



يفهم أفكار سيد قطب -مؤسس الحركات الإسلامية المتطرفة الراديكالية بما في ذلك تنظيم حركة القاعدة- تولّد كتابات سيد قطب العداوة الشديدة نحو الغربي، وحث إقامة مجتمع قائم على الشريعة الإسلامية والإطاحة على الحكومات من خلال الشريعة الجهادية، والكراهية نحو اليهودية، وعدم الثقة في المسيحيين".<sup>١٥٣</sup>

بدأ عبد الرحمن مهنته بعد تخرجه في جامعة الأزهر، القاهرة في عام ١٩٦٥م في مجال الدراسات الدينية، وقال في كتابه -كلمة الحق-: إن النقطة المرجعية الرئيسية لكتابه هو كتاب "في ظلال القرآن" لسيد قطب، ثم أصبح عمر عبد الرحمن مكافحا نشيطا وناقدا لرئيس جمال عبد الناصر الديكتاتوري، مما أدى إلى اعتقاله عدة مرات خلال الفترة ١٩٦٨-١٩٧٠م. وهو الآن يقيم في القاهرة للجماعة الإسلامية بمصر، ولا يزال يُذكر كل مسلم على وجوب الجهاد، والحث على الحق والخير، وهدم الشيطان، لأن المسلم القوي خير من المسلم الضعيف، قوي في المالية ووسائل الإعلام والإنتاجية، سعيد العظم الصناعي والزراعي".<sup>١٥٤</sup>

(٤) مهلا فتح كريكار "Muhah Fateh Krekar"

ومن المتأثرة بسيد قطب هي مهلا فتح كريكار، التي نشأت في كردستان العراق، والمقيمة في النرويج، وقد ولدت في عام ١٩٥٦م، وكان عمرها عشر سنوات عند إعدام سيد قطب عام ١٩٦٦م، وهي لم تلتق به طول حياتها، إلا أن فكرة سيد قطب قد أثرت وتأثرت

<sup>١٥٣</sup> John C. Zimmerman. 2004. *Sayyid Qutb's Influence on the 11 September Attacks*. Terrorism and Political Violence, vol. 16, p. 222.

<sup>١٥٤</sup> Musallam, Adnan. *From Secularism to Jihad, Sayyid Qutb and The Foundations of Radical Islamism*. p. 194-195.



بها تأثيراً عميقاً، وقد سمّت ابنه الأكبر سيد، وابنته الكبرى معالم، ثم سمّت ابنته الصغيرة ظلال، وابنه الأصغر بابن تيمية.

انضمت مهلا فتح كريكار إلى الحركة الإسلامية في كردستان الشرقية في يونيو عام ١٩٨٨م، بعد أن أصبح رئيس الجناح العسكري ومكتب التخطيط والتنفيذ في عام ١٩٩٠م، وقد برز اتجاه الجهاد في كردستان بين عام ١٩٧٨م إلى عام ١٩٧٩م، كنتيجة مباشرة لنجاح الثورة الإيرانية، والغزو السوفيتي لأفغانستان، فأصبحت مهلا فتح كريكار قائدة بارزة في تنظيم هذا الجهاد، الذي تأثر بأيدٍ ملوثة بعد قطب والجماعات الجهادية المصرية، وغيرها.<sup>١٥٥</sup>

ورأى الباحث أن منهج سيد قطب في تفسير آيات الجهاد هو المنهج التحليلي بالرأي الحركي الجديد بنظره إلى الأصول الاستيعابية حينئذٍ بداية من قبل السجن حتى اعتقاله على يد الحكومة، وأما مصدره في تفسير آيات الجهاد موافق ومناوئ من بعض فكرة المودودي وأكثر من ذلك هي حالة الدول مصري عندما كتب ظلال القرآن ومن نتيجة فكرة سيد قطب والمودودي في هذا الكتاب تأثر المجاهدون المعاصرون عليه حتى إلى فلسطين بعد النكسة وإلى كردستان الشرقية بمهلا فتح كريكار.

المبحث الثالث: قضايا الجهاد المعاصر عند سيد قطب

المطلب الأول: أنواع الجهاد المعاصر

كما تقدم أن ذكرنا من أن مفهوم مصطلح الجهاد، شائع في معنى الجهاد القتالي أو المقاومة بالسلاح، وقد تمكّن هذا المعنى بسبب وضعه في الجهاد القتالي دائماً ورأى سيد قطب أن القتال هو

Musallam, Adnan. *From Secularism to Jihad, Sayyid Qutb and The Foundations of Radical Islamism*. p. 197.

ميدان من ميادين المعركة التي واجهها الإنسان في هذه الدنيا، وهناك معارك كثيرة متنوعة التي تنحصر على معركتين، وهما معركة في عالم الضمير التي واجه فيها الشيطان والنفس، ومعركة في واقع الحياة.<sup>١٥٦</sup>

يمكن القول بعبارة أخرى أن للإنسان عدوَّين لا بدَّ له من جهاد هما، وهما عدو باطن يتمثل في الشيطان والنفس والثاني عدو ظاهر يمثله الناس في عالم الحياة، سيفصل الباحث في هذا المطلب أنواع الجهاد كما رآه سيد قطب رحمه الله.

#### ١. الجهاد في مواجهة الشيطان والنفس.

كتب سيد قطب، أن العداوة بين الشيطان والإنسان بدأت حين أوى إبليس أمر ربه تعالى بالسجود إلى آدم مصيلاً واستكباراً، ومن ذلك اليوم انكشف ميدان المعركة الخالدة الدائمة إلى آخر الزمان في سيرة الإنسان بينه وبين الشيطان، المعركة التي ينتصر فيها الخير بمقدار ما يستعصم الإنسان بربه، ويخسر فيها الشر بمقدار ما يستسلم الإنسان لشهوته ويبعد عن ربه.<sup>١٥٧</sup>

لقد طرد الشيطان من رحمته الله تعالى بسبب عصى أمره واستكباره، وطرد من الجنة، وحقت عليه اللعنة، وكتب عليه الصغار، ولكنه ينسى أن آدم هو مسبب طرده والغضب، ولا يستسلم لمصيره البائس دون أن ينتقم، ولذلك سعى الشيطان جاهداً ليضل الناس ويصدّهم أجمعين عن الصراط المستقيم.<sup>١٥٨</sup>

<sup>١٥٦</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ٣٠٥-٣٠٦.

<sup>١٥٧</sup> المرجع نفسه. ص. ٥٨.

<sup>١٥٨</sup> المرجع نفسه. ص. ١٢٦٦.



رأى سيد قطب أن الإنسان كخليفة الله في الأرض فإنه خلق باستعداد للخير وللشر، للهداية والضلال، ومنح القدرة على اختيار طريق الهدى أو طريق الضلال، وهذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان، ولقد علم الله سبحانه وتعالى أنها لا تكفى للإنسان مواجهة الشيطان، ومن رحمة الله بالإنسان أن أعانه بالرسالات التي تضع له الموازين الثابتة الدقيقة، وبذلك يتضح له الطريق واضحاً كماشفها لا غش فيه ولا شبهة فتتصرف القوة الواعية حينئذٍ عن بصيرة وإدراك لحقيقة الاتجاه الذي يخارقه وتسير فيه.<sup>١٥٩</sup> قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَنهَمَهَا جُورَهَا وَتَقَرَّرَهَا، فَلَمَّا أَخَذَتْ مِّن رَّكْبِهَا، وَفَدَّ حَبَّ مِّن دَسْنَاهَا﴾.<sup>١٦٠</sup>

رأى سيد قطب أن الإنسان لابد له أن يستسلم لله وحده، الاستسلام الذي لا تبقى بعده بقية ناشئة من تصوير أو شعور أو نية أو عمل ومن رغبة أو رهبة، إسلام الوجه له وحده واتباع منهجه في كل شؤون الحياة والتقوى في جميع الشؤون، في دعوات أنفسهم وفي جميع أمورهم صغيرها وكبيرها وأن يجتنب من الشيطان وأن لا يتبع خطواته، لأنه للإنسان عدو مبين.<sup>١٦١</sup>

مستدلاً بقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَدْخُلُوا فِي الْبَيْتِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.<sup>١٦٢</sup>

وزاد أنه ليس هنالك حل وسط، ولا منهج بين بين ولا خطة نصفية من هنا ونصفها من هناك، إنما هناك إسلام وجاهلية، حزب الله وحزب الشيطان، والله يدعو المؤمنين في الأولى إلى

<sup>١٥٩</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ٢٩١٧-٢٩١٨.

<sup>١٦٠</sup> القرآن. الشمس ٧: ٩١-١٠.

<sup>١٦١</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ٢٠٦.

<sup>١٦٢</sup> القرآن. البقرة ٢: ٢٠٨.



الدخول في السلم كافة، ويحذّرهم في الثانية من اتباع خطوات الشيطان، ويستجيش ضمائرهم ومشاعرهم، ويستثير مخاوفهم بتذكيرهم بعداوة الشيطان لهم، تلك العداوة الواضحة البينة، التي لا يسامحها إلا غافل، والغفلة لا تكون مع الإيمان.<sup>١٦٣</sup>

والإنسان حين ينسى ربه ويغفل قلبه عن ذكر الله، يجد الشيطان طريقه إليه، ويصبح له قرين سوء، يوسوس له، ووسوسة الشيطان كما صوّرها القرآن في سورة الناس كمثل وسوسة الخناس، والوسوسة: الصوت الخفي، والخنوس: الاختباء والرجوع، والخناس هو الذي من طبعه كثير الخناس.<sup>١٦٤</sup>

قال الله تعالى في القدر الكريم: **وَمِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ.**<sup>١٦٥</sup> وهذا الغريب يثر في الحسن اليقظة والتلفت والانتباه لتبين حقيقة الوسواس الخناس، بعد إطلاق صفة الإدراك لطريقته فعلة التي يتحقق بها شره، تأهباً لدفعه أو مراقبته. والإنسان عاجز عن دفع الوسوسة الخفية، ومن ثم يملك الله على عدته وجنته وسلاحه في المعركة، فقد جعل له من الإيمان جنة، وجعل له من الذكر عدة، وجعل له من الاستعاذة سلاحاً، فإذا أغفل الإنسان جنته وعدته وسلاحه فهو إذن من الشيطان على صورة الإنسان.<sup>١٦٦</sup>

<sup>١٦٣</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ٢١١.

<sup>١٦٤</sup> المرجع نفسه. ص. ٤٠١٠.

<sup>١٦٥</sup> القرآن. الناس ١١٤: ٤-٦.

<sup>١٦٦</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ٤٠١٠-٤٠١١.

والشيطان عدو الناس بين العداوة، فإنه لا يأمرهم إلا بالسوء والفحشاء، وإلا بالتخديف

على الله تعالى والافتراء عليه دون تثبت ولا يقين، <sup>١٦٧</sup> ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. <sup>١٦٨</sup>

ومن طريق وسوسة الشيطان كذلك، أنه يخوف الإنسان الفقر، ويثير في نفوسهم الحرص والشح

والتكالب، لأن خوف الفقر كان يدعو القوم في جاهليتهم لواد البنات وهو فاحشة، والحرص على جمع

الثروة كان يهدي بعضهم إلى أكل الربا وهو فاحشة، وكذلك خوف الفقر بسبب الإنفاق في سبيل الله في

ذاته فاحشة والفحشاء في نظر سيد قطب هي كل معصية تتجاوز الحد. <sup>١٦٩</sup>

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا

أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْبَةَ لَا تُنْفِقُوا وَلْتَنْتُمْ بِشَاذِهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ يُنْفِقُ مِمَّا يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ

وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. <sup>١٧٠</sup>

أن رسول الله بشر يقدر على الغضب إذا بلغت جهالة المتكلمين حاجتها وعند الغضب ينزع

الشيطان في نفسه، لذا يأمره ربه أن يستعبد بالله بحيث يحضرنه ويأخذ على الشيطان طريقه، والآية

<sup>١٦٧</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ١٥٥.

<sup>١٦٨</sup> القرآن. البقرة ٢: ١٦٩.

<sup>١٦٩</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ٣١٢.

<sup>١٧٠</sup> القرآن. البقرة ٢: ٢٦٧-٢٦٨.

تفيد أن مس الشيطان عمى وظلمة وأن تذكر الله بإبصار والاتجاه إليه نور وأن مس الشيطان تجلوه التقوى فما للشيطان على المتقين من سلطان.<sup>١٧١</sup>

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَزَعْنَلَك مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢) (١٧٢)  
الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾.<sup>١٧٣</sup>

وفي موضع آخر، من سيد قطب رحمه الله أن وسوسة الشيطان بإغواء على الشر وإيحاء على ارتكاب الخطيئة يعتمدان على نقط الضعف الفطرية ومداخل الشهوة في الإنسان، وأن هذا الضعف والشهوة لا مناعة مهيبة إلا بالتقوى والإيمان والذكر والتفوي على إغوائه ووسوسته، والاستعلاء على الشهوات والخضوع للهوى للهوى. وليس للشيطان على المؤمن الذكور من سلطان وقوة، وما يكون لكيدة الضعيف حينئذ من قوة.<sup>١٧٤</sup>

رأى الباحث أن الشيطان ليس من الناس بل هو من جنات ضعيف نفسه البشرية، ولا يمكن اتقاءه إلا بالإيمان والذكر والاستعلاء على الشهوات وإخضاع الهوى للهوى لله تعالى، ويلزم أيضاً تطبيق ومتابعة منهج الله في جميع شؤون حياتهم الإنسانية وليس هناك منهج آخر لاحتشالة التعايش بينهما.

٢. الجهاد في مواجهة العدو الظاهر.

إن منهج الله في الأرض ليس مجرد إرشاد وبيان وموعظة وهناك كذلك الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإذا أمكن أن يقوم بالدعوة غير ذي سلطان، فإن الأمر والنهي لا

<sup>١٧١</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ١٤١٩-١٤٢٠.

<sup>١٧٢</sup> القرآن. الأعراف ٢٠٠:٧-٢٠١.

<sup>١٧٣</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ١٢٦٨.



يقوم بهما إلا ذو سلطان.<sup>١٧٤</sup> قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾،<sup>١٧٥</sup> وقوله أيضاً: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.<sup>١٧٦</sup>

ولذلك، لا بد من سلطة تقوم على الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

سلطة تقوم على الإيمان بالله والأخوة في الله لتحقيق منهج الله وتحقيق المعروف ونفي المنكر من

الحياة البشرية وهذه المهمة ليست سهلة ولا يسيرة، وهناك الظالم الذي يكره العدل، والمنحرف الذي

يكره الاستقامة، وهناك طاغوت الشر وطاغوت الشهوة، وهناك من ينكرون المعروف، ويعرفون

المنكر ومن ثم لا بد من جهادهم.<sup>١٧٧</sup>

رأى سيد قطب أن العباد ضرورة للدعوة، لأن أهدافها هي إعلان عام لتحرير الإنسان من

العبودية للعباد ولهوإه إلى العبودية لله وحده بوسائل كافية في كل جوانبه، وعلى الداعي أن يدعو

الناس ويبلغهم إلى هذا الدين بالمعروف والبيان والحجة لجميع المعتقدات والتصورات وأن يختاروا

أحراراً في اعتناقه من غير صد عنه من نظام سياسي أو قوة مادية عند التبليغ وعند الاختيار، ولا

يفتنهم بعد ذلك عن دينهم بجميع وسائل الضيق.<sup>١٧٨</sup>

وأما حين توجد سلطة مادية التي تصد عن حرية المذاهب وحرية العقيدة وفتن المعتنقين عن

دينهم فلا بد من إزالتها بالقوة، قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَأَعِزُّوْا لَهُمْ مَا سَفَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ

<sup>١٧٤</sup> قطب، سيد، في ظلال القرآن، ص. ٤٤٤.

<sup>١٧٥</sup> القرآن، آل عمران ١٠٤:٣.

<sup>١٧٦</sup> القرآن، آل عمران ١١٠:٣.

<sup>١٧٧</sup> قطب، سيد، في ظلال القرآن، ص. ٤٤٤-٤٤٥.

<sup>١٧٨</sup> المرجع نفسه، ص. ١٨٦.

وَمِنْ رَبِّاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ<sup>١٧٩</sup>.

رأى سيد قطب، أن الإسلام منهج عملي واقعي للحياة الذي يواجه مناهج أخرى تقوم عليها سلطات وتقف وراءها قوى مادية، ومن ثم لا بد للإسلام من استعداد القوة لتحطيم تلك القوى المادية وتدمير السلطات التي تنفذ تلك المناهج الأخرى التي تقاومه، والاستعداد بما في الطوق البشري على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها فريضة تصاحب فريضة الجهاد، ويخص ذكر رباط الخيل هذه الأداة التي كانت معروفة عند نزول الآية.<sup>١٨٠</sup>

وأما العرض من قول الله تعالى «تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ»<sup>١٨١</sup> فهو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء المسلمين للاعتداء عليهم أو لتبوء في وجههم الإسلام، والأعداء هم جميع الأعداء ظاهروهم وباطنوهم أو الذين لم يجهروا للمسلمين باسم الله أنهم يسرائرهم وحقائقهم، ومن ثم لا بد للمسلمين أن يكونوا أقوياء وأن يحشدوا من يستطيعون من حباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض ولتكون كلمة الله هي العليا وليكون الدين كله لله<sup>١٨٢</sup>.

<sup>١٧٩</sup> القرآن. الأنفال ٨: ٦٠.

<sup>١٨٠</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ١٥٤٣-١٥٤٤.

<sup>١٨١</sup> القرآن. الأنفال ٨: ٦٠.

<sup>١٨٢</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ١٥٤٥.

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ

يُقَاتِلُونَ مَرْصُوصًا﴾<sup>١٨٣</sup> ومن ثم لا بد لجنود الإسلام أن يواجهوا الأعداء صفًا، صفًا سويًا منتظمًا، صفًا

كالبنين في قوته وكالمرصوص في انتظامه، والتعبير هنا ببيان مرصوص مصور للحقيقة لا مجرد التشبيه

العام، التعبير المصور لطبيعة الجماعة ولطبيعة ارتباطات الأفراد في الجماعة ارتباط الشعور وارتباط

الحركة داخل النظام المرسوم المتجه إلى هدف مرسوم.<sup>١٨٤</sup>

وعند لقاء العدو، وجب على جنود الإسلام الثبات وذكر الله وطاعة الله ورسوله وتجنب

التراخ والتهاقي والصبر على تكاليف المعركة، لقوله تعالى: ﴿يُنَاقِضُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَهُمْ قِتَّةٌ

فَآثَبْتُمُوهُمْ وَأَذْكُرُوا أَنَّهُمْ كَفَرُوا لَكُمْ تَفِيضُونَ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنَزِعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ

رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ لَاصْبِرٌ﴾<sup>١٨٥</sup>

رأى سيد قطب أن الآية تدل على أن الثبات فهو بدء الطريق إلى النصر، وأما ذكر الله كثيرًا

عند لقاء العدو فإنه الاتصال بالقوة التي تغلب رغبة الله الذي يحضر أولياءه، وهو كذلك يكون

ذكرًا للمسلمين وبيانًا لهم عن حقيقة المعركة وأهدافها وهي معركة من وحده لتكون كلمة الله

هي العليا، وأما طاعة الله ورسوله فهي طاعة قلبية حقيقة لوصيه الله ورسوله وأما الصبر فإنه الصفة

اللازمة التي لا بد منها لخضوع المعركة، إما معركة في ميدان القتال وإما معركة في ميدان النفس.<sup>١٨٦</sup>

<sup>١٨٣</sup> القرآن. الصف ٤:٦١

<sup>١٨٤</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ٣٥٥٥.

<sup>١٨٥</sup> القرآن. الأنفال ٨:٤٥-٤٦

<sup>١٨٦</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ١٥٢٨-١٥٢٩.



وزاد، أن النصر للمسلمين ليس بعددهم وعتادهم، وإنما بسبب إيمانهم وطاعتهم وعاون الله لهم، فإذا تخلوا عن توجيه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد تخلوا عن سبب النصر الوحيد الذي

يرتكبون به.<sup>١٨٧</sup>

استقرّ للباحث من بيان سيد قطب، أن الجهاد في حالة الأمن هو الجهاد بالدعوة والحجة والبيان، وأما القتال فإنه شرع لضمان حرية العقيدة، ووجب على المسلمين إعداداً كاملاً لمواجهة العدو، وثباتاً وذكراً دائماً وملاعة لله ورسوله عند المعركة، لأن النصر ليس بعددهم وعدتهم وعتادهم، وإنما بسبب إيمانهم وعاونهم وعاون الله لهم.

المطلب الثاني: أهداف الجهاد المعاصر

فسر سيد قطب رحمه الله تعالى سورة البقرة الآية ٢٥٦: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>١٨٨</sup> بشرح الواضح

عن الأهداف التي لا بد للإسلام من جهادها وهذه الأهداف تمكن في تحقيق حرية العقيدة في الإسلام وقيام دين الله الأعلى.

١. ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة التي تنشأ بسببها ويكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم، والفتنة أشد من القتل، فاعتبر الاعتناء على العقيدة والإيداع بها، وفتنة أهلها عنها أشد من الاعتداء على الحياة ذاتها، فالعقيدة أعظم قيمة من الحياة وفق هذا المبدأ العظيم، وإذا كان المؤمن مأذوناً في القتال ليدفع عن حياته وعن ماله، فهو من باب أولى مأذون في القتال ليدفع عن عقيدته ودينه.

<sup>١٨٧</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ١٨٩.

<sup>١٨٨</sup> القرآن. البقرة ٢: ٢٥٦.

٢. لتقرير حرية الدعوة - بعد تقرير حرية العقيدة - جاء الإسلام بأكمل تصور للوجود والحياة، وبارقى

نظام لتطوير الحياة، جاء بهذا الخير ليهديه إلى البشرية كلها، ويبلغه إلى أسماعها وإلى قلوبها، - لا

إكراه في الدين - ولكن ينبغي قبل ذلك أن العقبات من طريق إبلاغ هذا الخير للناس كافة، هناك

نظام طاغية في الأرض تصد الناس عن الاستماع إلى الهدى وتفنى المهتدين أيضاً، فجاهد

الإسلام ليحطم هذه النظم الطاغية، وليقوم مكانها نظاماً عادلاً حرية الدعوة إلى الحق في كل

مكان وحرية الدعوة

٣. لإقامة الإسلام نظامه الخاص ويقرره ويحميه، وهو وحده النظام الذي يحقق حرية الإنسان تجاه

أخيه الإنسان، حينما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعال، وبلغى من الأرض عبودية

البشر للبشر في جميع أشكالها وصورها، فليس هنالك فرد ولا طبقة ولا أمة تشريع الأحكام

للناس، ويستند لهم على طريق حشيش هذه هي قاعدة النظام الرباني الذي جاء به الإسلام، وما

يزال هذا الجهاد لإقامة هذا النظام الرفيع مفوضاً على المسلمين. <sup>١٨٩</sup> قال الله تعالى: ﴿وَقَتْلُوهُمْ

حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا

هذه هي قاعدة النظام الرباني الذي جاء به الإسلام، وجاهد الإسلام ليقوم هذا النظام الرفيع في

الأرض ويقرره ويحميه، وما يزال هذا الجهاد لإقامة هذا النظام الرفيع مفوضاً على المسلمين، فلا تكون

هناك ألوهة للعبيد في الأرض، ولا دينونة لغير الله. <sup>١٩١</sup>

<sup>١٨٩</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ٢٩٤-٢٩٥

<sup>١٩٠</sup> القرآن. الأنفال: ٣٩:٨

<sup>١٩١</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ٢٩٥.

### المطلب الثالث: حكم الجهاد المعاصر

قال القرطبي في كتاب الجامع لأحكام القرآن، أن الجهاد حكمان: فرض ونفل، فُرض الجهاد على الأمام إخراج طائفة إلى العدو كل سنة مرة، يخرج معهم بنفسه أو يخرج من يثق به ليدعوهم إلى الإسلام ويرغبهم وكف أذاهم ويظهر دين الله عليهم حتى يدخلوا في الإسلام أو يُعطوا الجزية عن يد. وأما الجهاد النفل فهو إخراج الإمام طائفة بعد طائفة وتُعبث السرايا في أوقات الغرة وعند إمكان الفرصة والإطراد هم باليأس في موضع الخوف وإظهار القوة، فإن قيل: "كيف يصنع الواحد إذا قصر الجميع" <sup>١٩٢</sup>.

بين سيد قطب أن كلمة الجهاد في الإسلام تصلح أساساً لتفسير آيات القتال وفي المواضع القرآنية الأخرى، <sup>١٩٣</sup> وكان تفسير سيد قطب عن سورة البقرة من الآية ١٩٠-٢٠٣ تمثل قاعدة أحكام الجهاد في الإسلام.

(١) وتبدأ الآيات بأمر المسلمين بقتال هؤلاء الذين قاتلوه وما زالون يقاتلونهم، ويقتالهم في أي وقت وفي أي مكان، ولكن دون اعتداء، إنه القتال لا لا شيء هدف آخر من الأهداف التي عرفت البشرية في حروبها الطويلة، لا في سبيل الأعداء والاستئصال في الأرض، ولا في سبيل المغنم والمكاسب، ولا في سبيل الأسواق والحامات، ولا في سبيل تسويد طبقة على طبقة أو جنس على جنس، القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض، وإقرار منهجه في الحياة وحماية المؤمنين به أن يفتنوا عن دينهم، أو أن يجرفهم الضلال والفساد، وما عدا هذه فهي حرب غير مشروعة في حكم الإسلام، وليس لمن يخوضها أجر عند الله ولا مقام، والعدوان يكون بتجاوز المحاربين

<sup>١٩٢</sup> القرطبي، محمد ابن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. ص. ٤٨٧.

<sup>١٩٣</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ١٨٦.



المعتدين إلى غير المحاربين من الأمنيين المسلمين الذين لا يشكلون خطراً على الدعوة الإسلامية ولا على الجماعة المسلمة، كالنساء والأطفال والشيوخ والعباد المنقطعين للعبادة من أهل كل ملة وفريق، تلك الشناعات التي ينفر منها حس الإسلام، ونأبأها تقوى الإسلام.<sup>١١٤</sup> قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا<sup>١١٥</sup> إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

(٣) والتالي، بين سيد قطب حكم القتال في الأشهر الحرم كما بين حكمه عند المسجد الحرام، فالذي ينتهك حرمة الشهر الحرام جزاؤه أن يحرم الضمانات التي يكفلها له الشهر الحرام، وقد جعل الله البيت الحرام واحة للأمن والسلام في المكان، كما جعل الأشهر الحرم واحة للأمن والسلام في الزمان، تصان فيها الدماء، والحرقات والأموال، ولا يمس فيها حي بسوء، فمن أبى أن يستظل بهذه الواحة أراد أن يحرم المسلمين منها، فجزاؤه أن يحرم هو منها، والذي ينتهك الحرمات لا تصان حرمانه، ومع هذا فإن إباحة الرد والقصاص للمسلمين توضع في حدود لا يعتدونها، فما تباهى هذه المقدسات إلا للضرورة وبقدرها،<sup>١٩٨</sup> قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتِ قِصَاصٌ﴾<sup>١٩٩</sup> بلا تجاوز ولا مغالاة، والمسلمون موكلون في هذا إلى تقواهم، وقد كانوا يعلمون كما تقدم أنهم إنما ينصرون بعون الله، فيذكروهم هنا بأن الله مع المتقين، بعد أمرهم بالتقوى.

وجد سيد قطب أن سورة التوبة تتضمن الأحكام النهائية في الجهاد، وهذه الأحكام النهائية تراجعت مع الأحكام المرحلية التي جاءت في السور قبل التوبة<sup>٢٠٠</sup> قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يُنَاقِبُ الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلظًا وَعِلْمًا لَّنُؤَيِّدَنَّكُمْ مَعَهُمْ ثُمَّ لَنَنْصَرِفَنَّ عَنْهُمْ لِيُكَفَرُوا وَلْيَذَلَّ اللَّهُ لَهَا لَكِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾<sup>٢٠١</sup> إن تلك الأحكام المرحلية ليست منسوخة بحيث يجوز العمل بها في أي ظروف من ظروف الأمة المسلمة بعد نزول الأحكام الأخيرة في سورة التوبة، ذلك أن الحركة والواقع الذي توسع في شتى

<sup>١٩٨</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ١٩١.

<sup>١٩٩</sup> القرآن. البقرة ١٩٤:٢.

<sup>٢٠٠</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ١٩١.

<sup>٢٠١</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ١٥٦٤.

<sup>٢٠٢</sup> القرآن. التوبة ٩:١٢٣.

الظروف والأمكنة والأزمنة هي التي تحدد -عن طريق الاجتهاد المطلق- الأحكام أنسبت للأخذ به في ظرف من الظروف، في زمان من الأزمنة، في مكان من الأماكن! مع عدم نسيان الأحكام الأخيرة التي يجب أن يصل إليها، متى أصبحت الأمة المسلمة في الحال التي تمكنها من تنفيذ هذه الأحكام، كما كان حالها عند أول سورة التوبة.<sup>٢٠٣</sup>

وفي خاتمة تفسير سورة التوبة يقول سيد قطب: "إن تلك الأحكام النهائية الواردة في السورة الآخرة، إنما جاءت وواقع المجتمع المسلم وواقع الجاهلية من حوله كذلك، كلاهما يحتم اتخاذ تلك الإجراءات لتنفيذ تلك الأحكام، فالحال حين كان واقع المجتمع المسلم وواقع الجاهلية من حوله يقتضي أحكاماً أخرى مرحلية -فقد جاءت في السور السابقة نصوص وأحكام مرحلية".

"وحيث يوجد المجتمع المسلم من المعزى وينحرف فإنه يكون في حل من تطبيق الأحكام المرحلية في حينها، ولكن عليه أن يعدّها أحكاماً مرحلية، وأن عليه أن يجاهد ليصل في النهاية إلى تطبيق الأحكام النهائية التي تحكم العلاقات النهائية فيه وبيل سائر المجتمعات".<sup>٢٠٤</sup>

واستنبط الباحث على أن هناك معنيين من الجهاد: الجهاد على مواجهة الشيطان والنفس والجهاد على مواجهة العدو الظاهر الذي يقاتل المسلمين وخارجهم، وأما أهداف الجهاد فهي: دفع المؤمنين عن الأذى والفتنة وتقرير حرية الدعوة بعد تقرير حرية العقيدة وإقامة الإسلام على الأرض. وأما حكم الجهاد عند سيد قطب فهو واجب على المسلمين المعتدى عليهم من قبل الأعداء وإقامة الإسلام على الأرض، وأما ماعدا هذا فهو جهاد غير مشروع وحرام حكمه.

<sup>٢٠٣</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ١٥٨٠.

<sup>٢٠٤</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص. ١٧٤٤.